

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثقافة الكسب في الإسلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّزَّاقِ الْعَلِيمِ، سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ بِالْكَسْبِ وَحَتَّهْمَ عَلَيْهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالرِّزْقِ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ السَّعْيَ إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُعْطِي السَّائِلِينَ، وَيُبَارِكُ جُهْدَ الْعَامِلِينَ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿١﴾، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْكَسْبَ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ، وَالجِدُّ فِي الْعَمَلِ مَطْلَبٌ دِينِيٌّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ﴿٢﴾، وَقَالَ ﷺ: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِبَيْتِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ))، وَسَطَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْمُرْسَلِينَ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْعَامِلِينَ، فَنُوحَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَمَلٍ فِي النَّجَارَةِ وَصَنَعَ السَّفِينَةَ، صِنَاعَةً مُتَقَنَةً مَتِينَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٣﴾، وَعَمِلَ دَاوُدُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي الْمَشْغُولَاتِ الْحَدِيدِيَّةِ، كَالدُّرُوعِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْأَلَاتِ الْحَرْبِيَّةِ، وَنَبِيًّا مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ قُدْوَةً فِي الْجِدِّ وَالْعَمَلِ، فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ))، وَقَدْ عَمِلَ ﷺ فِي رَعْيِ الْغَنَمِ، فَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ))، قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَأَنَا كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ

(١) سورة الطلاق / ٢-٣ .

(٢) سورة الملك / ١٥ .

(٣) سورة هود / ٣٨ .

مَكَّةَ))، وَمَارَسَ ﷺ التَّجَارَةَ بِأَمْوَالِ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ، وَكَانَ ﷺ يُعَلِّي مِنْ شَأْنِ الْحَرَفِيِّينَ فَيَجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَرْفَعُ هِمَمَهُمْ وَمَعْنَوِيَّاتِهِمْ، فَالْإِسْلَامُ دِينُ الْإِجَابِيَّةِ، يَطْلُبُ مِنَ الْمُسْلِمِ تَقْدِيمَ الْخَيْرِ لِنَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ بِالْعَمَلِ وَالْاجْتِهَادِ، وَيَذُمُّ الْقُعُودَ عَنِ الْعَمَلِ وَالْإِخْلَادَ إِلَى الْاِتِّكَالِ وَتَكْفُفَ الْآخَرِينَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))، بَلْ أَنْكَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى مَنْ يَدْعُ الْعَمَلَ بِزَعْمِ التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ، فَقَدْ اِمْتَدَحَ نَفَرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَجُلًا مِنْهُمْ، بِأَنَّهُ يُصَلِّي حَتَّى يَرْتَحِلُوا، وَإِذَا ارْتَحَلُوا لَمْ يَزَلْ يَقْرَأُ وَيَذْكُرُ حَتَّى يَنْزِلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَيْكُمْ كَانَ يَكْفِيهِ عَافٍ نَاقَتِهِ وَصُنْعَ طَعَامِهِ؟))، قَالُوا: كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((كَلِمَةٌ خَيْرٌ مِنْهُ))، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ((إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ فَيُعْجِبُنِي، فَأَقُولُ: أَلَهُ حِرْفَةٌ؟ فَإِنْ قَالُوا: لَا؛ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي))، وَرَأَى عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَوْمًا قَابِعِينَ فِي رُكْنِ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَسَأَلَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ، فَعَلَاهُمْ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِدِرَّتِهِ وَنَهَرَهُمْ، وَقَالَ: لَا يَقْعُدَنَّ أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارزُقْنِي، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمْطِرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً، وَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ رَبَطَ الْإِسْلَامُ السُّلُوكَ الْاِقْتِصَادِيَّ لِلْمُسْلِمِ بِعَقِيدَتِهِ، عَلَى وَفْقِ قِيَمٍ تَجَلِبُّ الْبَرَكَةَ وَالرِّخَاءَ، لِأَنَّهَا سُنَنُ خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٢)، هَذَا وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْمَرْءُ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَيِّنَةٍ فِي جَمِيعِ خَطَوَاتِهِ، وَعَلَى فِقْهِ فِي سَائِرِ مُعَامَلَاتِهِ، مُتَبَيِّنًا مُتَقَحِّصًا لِكُلِّ صَفَقَاتِهِ، يَتَحَرَّكُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيَتَقَدَّمُ بِخُطَى مُسْتَتِيرَةٍ، وَأَمَّا الْجَهْلُ فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ الْمُبِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ

(١) سورة الجمعة / ١٠ .

(٢) سورة طه / ١٢٣-١٢٤ .

بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١﴾، إِنَّ الْعِلْمَ بِنِّ الْمِهْنَةِ الَّتِي يَتَكَسَّبُ مِنْهَا، وَالْخِبْرَةَ بِشُؤُونِ الْحِرْفَةِ الَّتِي يَتَمَوَّلُ بِهَا، شَرْطٌ لِلْعَمَلِ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُوسَفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَقَدَّمَ لِلوُظَيْفَةِ الْعَظِيمَةِ، بِمَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ وَخِبْرَةٍ وَدِرَايَةٍ، فَقَالَ لِمَلِكِ مِصْرَ: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنْ حَفِظْتُ عَلَيَّ﴾ ﴿٢﴾، وَبِالْعِلْمِ يُمَيِّزُ الْمَرْءُ فِي كَسْبِهِ بَيْنَ الْخَبَائِثِ وَالطَّيِّبَاتِ، وَيُذَكِّرُ مَا فِيهِ نَفْعٌ لِلأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَهَذِهِ فِي الْإِسْلَامِ غَايَةُ عَظْمَى، فَلَا يَصِحُّ التَّمَوُّلُ بِمَا يَعُودُ بِالضَّرَرِ وَالْبَلْوَى، لِذَلِكَ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ التَّمَوُّلَ بِكُلِّ مَا يَعُودُ عَلَى النَّاسِ بِالضَّرَرِ فِي أَنْفُسِهِمْ، أَوْ الْخَسَارَةِ فِي مُمْتَلِكَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَلَا فَلَاحَ لِمَنْ يَتَكَسَّبُ عَلَى حِسَابِ مَصَالِحِ الْآخِرِينَ، أَوْ يَتَمَوَّلُ بِإِفْسَادِ مُجْتَمَعَاتِ الْآمِنِينَ، أَوْ يَصْعَدُ بِأَرْصَدَتِهِ عَلَى سَلْمِ حَاجَاتِ الْمُعْوَزِينَ، فَالْجَشَعُ مَمْقُوتٌ فِي الْمَعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ، لِأَنَّهُ صُورَةٌ قَاتِمَةٌ مِنْ صُورِ الْإِنَانِيَّةِ. إِنَّ الْمُضَاعَفَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِلثَّرَوَاتِ الْمَالِيَّةِ، تُقَاسُ بِأَثْرِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ فِي الْخِدْمَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَخْفِيفِهَا مِنَ الْمُعَانَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَبُعْدِهَا عَنِ اسْتِغْلَالِ الْحَاجَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِذَا سَلَكَ الْفَرْدُ فِي نَشَاطِهِ الْاِقْتِصَادِيَّ طُرُقًا وَأَسَالِيبَ لَا تَحْتَرِمُ الْمُجْتَمَعَ، فَلَا تَتْرُكُهُ الْأُمَّةَ يَسْتَفِيدُ مِنْ نَشَاطِهِ الْخَاطِئِ؛ بَلْ لَا يُقَرَّ أَبَدًا، وَلَا يُتَسَامَحُ مَعَهُ فِي أَيِّ صُورَةٍ لِلْكَسْبِ الْخَبِيثِ. وَبِالْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ وَالدِّرَايَةِ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ تَحْقِيقَ التَّوَازُنِ الْمَطْلُوبِ بَيْنَ عَمَلِهِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْآخِرِيِّ، وَالْمُوَاظَمَةَ بَيْنَ الْجَانِبِ الْمَادِّيِّ وَالرُّوحِيِّ، فَلَا يَطْغَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فِي ظِلِّ هَذِي الْإِسْلَامِ، الَّذِي يُعْطِي كُلًّا مِنَ الْمَادَّةِ وَالرُّوحِ حَقَّهُمَا مِنَ الرَّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ؛ حَتَّى لَا يَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي هُزَالِ الرَّهْبَانِيَّةِ، أَوْ فِي سَعِيرِ الشَّهَوَاتِ الْمَادِّيَّةِ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْأَمَانَةَ خُلِقَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ، وَهِيَ فِي الْمَكَاسِبِ مِنْ أَهَمِّ الْفَضَائِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعُظِّمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣﴾، بِالْأَمَانَةِ تَحَلَّى الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَتَخَلَّقَ عِبَادُ اللَّهِ

(١) سورة الإسراء / ٣٦ .

(٢) سورة يوسف / ٥٥ .

(٣) سورة النساء / ٥٨ .

الصَّالِحُونَ، فَقَدْ حَكَى اللهُ عَنِ ابْنَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ وَهِيَ تَصِفُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ،
 فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِحَدَهُمَا يَتَأَبَتِ اسْتَعِجْرُهُ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَشَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١)، إِنَّ الْمُسْلِمَ
 مُطَالِبٌ فِي كَسْبِهِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا فِي إِجَابِهِ وَقَبُولِهِ، وَفِي أَخْذِهِ وَعَطَائِهِ، فَلَا يَتَعَامَلُ إِلَّا
 بِأَمَانَةٍ، وَلَا يَتَعَاقَدُ إِلَّا مَعَ مَنْ عُرِفَ عَنْهُ الْأَمَانَةُ، قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا
 اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، بَلْ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَنْفِي الْإِيمَانَ عَنِ الْخَائِنِ؛
 فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: مَا خَطَبْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: ((لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا
 أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))، وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَضَعَ الصَّدَقَ نَصَبَ عَيْنَيْهِ،
 وَيَتَمَسَّكَ بِهِ وَيَحْرِصَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
 الصَّادِقِينَ﴾^(٣)، وَالصَّدَقُ يُورِثُ سَعَادَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ
 الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ﴾^(٤)، إِنَّ الصَّدَقَ هَادٍ لِكُلِّ بَرٍّ، قَائِدٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ
 عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ
 الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ
 يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَابًا))، وَالْمُسْلِمُ صَادِقٌ فِي
 تَصَرُّفَاتِهِ، وَيَتَعَامَلُ مَعَ الصَّادِقِينَ فِي صَفَقَاتِهِ. وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَأَحَادِيثُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ،
 يَنْفِيَانِ الْإِيمَانَ عَنِ الْكَذَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٥)، وَالْكَذِبُ دَاءٌ خَطِيرٌ، وَبَلَاءٌ عَظِيمٌ مُسْتَطِيرٌ، وَأَخْطَرُ مَا يَكُونُ
 فِي الْمُعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ، وَالتَّصَرُّفَاتِ الْكُسْبِيَّةِ، لِأَنَّهُ يُمَوِّهُ الْحَقَائِقَ، وَيَجْرُ الْخَسَارَةَ عَلَى
 الْأَبْرِيَاءِ مِنَ الْخَلَائِقِ، لِذَلِكَ جَاءَ التَّشْدِيدُ عَلَى الْمُتَعَاقِدِينَ مِنَ الْكَذِبِ، فَعَنْ رِفَاعَةَ - رَضِيَ

(١) سورة القصص / ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال / ٢٧ .

(٣) سورة التوبة / ١١٩ .

(٤) سورة المائدة / ١١٩ .

(٥) سورة النحل / ١٠٥ .

اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَّبِعُونَ، فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ))، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: ((إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرََّ وَصَدَّقَ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَدُّوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي مُعَامَلَاتِكُمْ، وَاحْرِصُوا عَلَى تَنْمِيَةِ اقْتِصَادِكُمْ، وَتَحَلَّوْا بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ فِي كَسْبِكُمْ؛ يُبَارِكِ اللَّهُ أَمْوَالَكُمْ، وَيُصَلِّحِ أَحْوَالَكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْكَسْبَ الْحَلَالَ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ آدَاءَ حُقُوقِ اللَّهِ وَالنَّفْسِ وَالْعِيَالِ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، تَاجِرَ فَعْرِفَ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَنَهَى عَنِ الْاسْتِغْلَالِ وَالْجَشَعِ وَالْخِيَانَةِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِحْسَانِ وَالْإِعَانَةِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَعَ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ، فَطِنٌ يَمْتَحِنُ مَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ فِي تِجَارَتِهِ، فَالْتَّبِينُ وَالِاسْتِنْبَاطُ، مَنْهَجُ الْمُتَّقِينَ الْأَخْيَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْكُمْ فَمَنْ يَتَّبِعُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١)، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢): (هَذَا

(١) سورة النساء / ٩٤ .

(٢) سورة النساء / ٨٣ .

تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهْمَّةِ، وَالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَمْنِ وَسُرُورِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ بِالْخَوْفِ الَّذِي فِيهِ مُصِيبَةٌ عَلَيْهِمْ، أَنْ يَتَنَبَّهُوا، وَلَا يَسْتَعْجِلُوا بِإِسَاعَةِ ذَلِكَ الْخَبَرِ، وَيَرُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ: أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالنُّصْحِ وَالْعَقْلِ وَالرِّزَانَةِ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْأُمُورَ، وَيَعْرِفُونَ الْمَصَالِحَ وَضِدَّهَا، فَإِنْ رَأَوْا فِي إِذَاعَتِهِ مَصْلَحَةً وَنَشَاطًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَسُرُورًا لَهُمْ، وَتَحَرُّزًا مِنْ أَعْدَائِهِمْ؛ فَعَلُوا ذَلِكَ، وَإِنْ رَأَوْا أَنَّهُ لَا مَصْلَحَةَ فِيهِ، أَوْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَلَكِنْ مَضْرَّتُهُ تَزِيدُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ لَمْ يُذِيعُوهُ)، وَرَوَى عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: ((لَسْتُ بِالْخَبِّ وَلَا الْخَبُّ يَخْدَعُنِي)) أَي لَيْسَ مِنْ طَبْعِي الْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ، وَلَسْتُ سَادِجًا فَاسْمَحَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْتَالَ عَلَيَّ، وَشَهِدَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا رَجُلٌ صِدْقٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "هَلْ سَافَرْتَ مَعَهُ؟" قَالَ: لَا، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "فَهَلْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ؟" قَالَ: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: "فَهَلْ انْتَمَتَتْ عَلَى شَيْءٍ؟" قَالَ: لَا، فَقَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "فَأَنْتَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، أُرَاكَ رَأَيْتَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَخْفِضُهُ" - أَي فِي الصَّلَاةِ -، هَكَذَا يُبَيِّنُ لَنَا سَيِّدُنَا عُمَرُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَجْرِي خَلْفَ السَّرَابِ، وَلَا يَتَعَامَلُ إِلَّا مَعَ مَنْ عُرِفَ عَنْهُ جَمِيلُ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ، وَإِنَّ مِمَّا يُؤَسِّفُ مَعَ كُلِّ هَذِهِ التَّعَالِيمِ الرَّبَّانِيَّةِ، أَنْ يَقَعَ بَعْضُ أَوْلِيَاءِ الْإِسْلَامِ ضَحَايَا لِذُنُوبِ الْمُعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ، كَالَّذِي انْتَشَرَ مِنَ الْمَحَافِظِ الْوَهْمِيَّةِ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِنُورِ يُضِيءُ لَنَا الطَّرِيقَ النَّقِيَّةَ، فِي مُعَامَلَاتِنَا الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَيُنْمِرُ رِخَاءً فِي أُمُورِنَا الْمَعِيشِيَّةِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ تَعْلِيمَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَتَوَجِّهَاتِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ الَّتِي يَسْلَمُ مِنَ التَّزَمُّهَا، وَيَنْجُو مَنْ عَمِلَ بِهَا، فَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَالتَّدَاعِيَاتِ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى مَرَجِعِيَّةٍ مَوْثُوقَةٍ، يَتَلَقَّوْنَ مِنْهَا التَّوَجِيهَ لِتَحَقُّقِ الْأَهْدَافِ، وَتَنْتَقِي الْمَفَاسِدَ وَالْمَحَازِيرَ، وَلَا يَصِحُّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ أَحَدٍ فِي مَقَامِ الْمَوْجِهَةِ عَبْرَ رَسَائِلٍ يَنْشُرُهَا عَبْرَ الْجَوَالِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَسَائِلِ، وَالْاِنْدِفَاعُ غَيْرُ الْمُنْضَبِطِ قَدْ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى أُمُورٍ يَتَبَيَّنُ لَاحِقًا أَنَّ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَخْطَارِ وَالشَّرُورِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي مُعَامَلَاتِكُمْ، وَاحْرِصُوا عَلَى الصِّدْقِ فَإِنَّهُ نَجَاةٌ وَسَلَامَةٌ،

وَيَاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ، وَلَا تَتَسَرَّعُوا بَلْ تَبَيَّنُوا، فَإِنَّ التَّبَيَّنَ فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَاةَ وَالعَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْتَقْنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،

المُستَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.